لِمَاذَا تَصَالَحَ الإِمَامُ الحَسَنُ عليه السلام

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

الحَسَنُ وَالحُسَيْنُ

إِمَامَانِ قَامَا أَوْ قَعَدَا

الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة

الشؤون الفكرية والثقافية

٢٠

لِمَاذَا تَصَالَحَ الإِمَامُ الحَسَنُ عليه السلام

الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة
الشؤون الفكرية والثقافية
١٤٣٢ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين حبيب آله رب العالمين أبي القاسم محمد المصطفى وعلى آل بيته الغر الميامين الطاهرين واللعن الدائم على أعدائهم من الأولين والآخرين إلى قيام يوم الدين وبعد.

يسجل التأريخ الأحداث التي تمر بها الشعوب والأقوام، وتسطر صفحاته أقلامُ نورٍ بذكر الكواكب الزواهر والشهب النوادر التي تتزين بها السطور.. نعم هكذا حال العظماء، فهم قيمة التأريخ وبهم ترتقي الأمم ومنهم يستمد الحاضر والمستقبل، وبهم تتجذر الشعوب وتتأصل بالانتماء إلى عظمائها الذين رسموا خارطة المستقبل وأناروا طريق الحرية وعبّدوه بالغالي والنفيس حتى تكون الأمة خير أمة أخرجت للناس.

نحن في بحثنا هذا سنتناول بعض اللمحات عن معاناة سيد شباب أهل الجنة الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام مسلطين البيان على مسألة الصلح التي ابتلي بها الإمام الحسن عليه السلام وعرضت هذه المسألة على سفر التأريخ وناقشها المؤرخون وأصحاب السير فأصبحت بمرور الزمن شبهة على سيرته العطرة عليه السلام وقد بالغ الذين باعوا ضمائرهم إلى طغاة عصورهم في وضع هذه الشبهة حتى خرجت عن منطوق تصورات العقل البسيط.

ومما لا يخفى على كل ذي لبّ أن الإمام الحسن الزكي عليه السلام قد ظُلم من أعدائه ومناوئيه فقالوا ما قالوا محاولين تغيير تلك الصورة

المشرقة للإمام عليه السلام التي نستمد منها روح المعاني الإسلامية وروح الهداية المحمدية وروح البسالة الحيدرية ونفحات الأنوار الفاطمية، فأطروا بإشاعاتهم وأحاديثهم صور القداسة الحسنية فوضعوا ودسوا وبالغوا حتى في الذي وضعوه، ولكن هيهات أن يطمسوا ذكر محمد وآل محمد صلى الله عليه وآله.

ومما يؤسف له، أن الحسن عليه السلام قد عانى الظلم في حياته وعاناه بعد استشهاده.. بل في أول ساعة من استشهاده عليه السلام إذ خرج القوم فمنعوا دفنه عند رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يراعوا حرمة جنازته الشريفة فجعلوها هدفاً لسهامهم الغادرة.

ونحن لا نريد الإطالة وذكر جميع الأحداث التي عصفت بحياته لكننا راعينا الاختصار والإيجاز.. راجين العلي القدير أن يوفقنا لخدمة أوليائه الذين اختارهم واصطفاهم وجعلهم الحجج على خلقة انه سميع مجيب.

توطئة

عند مراجعة التأريخ والوقوف على الأحداث والخطوب التي مرت بها الأمة الإسلامية بعد رسول الله الأعظم ﷺ وكيف بدأت مبادئ الإسلام وقيمه تنهار شيئاً فشيئاً حتى كاد الإسلام أن ينتهي وهو في صباه، إلا أن وجود العظماء في الأمة منع ذلك الانهيار وقدم كل ما يملكه في سبيل ديمومة الإسلام ودفعه إلى مكانه الذي أراده الله تعالى أن يكون ولتكون الأمة خير أمة أخرجت للناس.

ومن العظماء الذين تحملوا عناء التبليغ وبناء القيم، إمامنا الحسن بن علي عليه السلام الذي كان واحدا من الأوصياء الذين نص الله تعالى عليهم وأخبر بهم النبي الكريم محمد ﷺ، وما أن آلت أمور القيادة الإلهية في دولة الخلافة العلوية إلى الحسن بن علي عليه السلام تمحورت الفتن وتمكّرت الفكر لتسهم في إيقاف عطائه الدافق، فالحسن عليه السلام وَرث تركة ضخمة من الانشقاق والعداء الموجه ضد أبيه عليه السلام.

فما أن انتهى الإمام الحسن السبط عليه السلام من أمر عبد الرحمن بن ملجم المرادي[1] توجه عبد الله بن العباس فدعا الناس إلى بيعته فاستجاب الناس إلى دعوة ابن العباس وبايعوا الحسن عليه السلام وكان أول المبايعين قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري، بعدها أقبل الناس يتسابقون على بيعته، وما أن استقر الأمر له عليه السلام علم معاوية وأتباعه بذلك فبدأو يعملون بكل ما لديهم من قوة ومكر وخداع لإفساد أمره والتشويش عليه.

بدأ معاوية محاولاته الماكرة بالتأثير على مقام الخلافة المتمثلة في الشخص الذي يمتلك المؤهلات والقدرات التي تؤهله للقيام بمهمة إدارة الأمة وهذا الشخص هو الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام الذي بايعه الناس ليكون خليفة، وهو الحجة على الخلق وبه ترتبط ضرورة الإمام بضرورة بيان الشريعة الإسلامية، فإقامة الحكومة الإلهية في الأرض لا بد أن تكون مرتبطة بالذي يُنصّب من الله تعالى.

---

(١) . قاتل علي بن أبي طالب عليه السلام / وهو من الخوارج ضربه على أم رأسه وهو ساجد في محراب الكوفة وقت صلاة الصبح من يوم ١٩رمضان / ٤٠ هجرية.

ظهرت بوادر التآمر من قبل عامل الشام فدس رجلاً من حِمْيَر إلى الكوفة وآخر إلى البصرة وقد قتلا بعد انكشاف أمرهما، ثم كثرت المراسلات بين الإمام الحسن عليه السلام ومعاوية ، مذكرا إياه على أنه الخليفة الشرعي المنتخب من قبل المسلمين وعليه الإذعان لهذا المقام، فكانت إجابات معاوية تأتي بالإجابات المراوغة التي اعتمد فيها الخديعة والمكر دافناً تحتها حبال المؤامرات والألاعيب التي اشتهر بها معلناً وبشكل صريح أنه لم ينزل على حكم الحسن عليه السلام وأنه أولى بخلافة المسلمين.

ماذا حدث بعد حرب صفين؟

ورث الحسن عليه السلام الأحداث التي عصفت بالأمة خصوصا ما جرى من أحداث بعد رجوع الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام من صفين وإيقاف حرب أهل الشام بقبول التحكيم ومدى تأثيرها على المجتمع المسلم، ويمكن أن نجملها بالنقاط الآتية:

١. كان للمعارك التي خاضها أمير المؤمنين عليه السلام أثرا سيئا في نفوس الكثير من جيشه.

٢. دبّ الخلاف والوهن بين أهل العراق فجعل يستحثهم على الخروج معه لحرب معاوية ولقاءه مرة أخرى، فجعلته يخطب فيهم المرة تلو المرة فلا يجد منهم إلا التخاذل والخلاف عليه.

٣. ظهرت فكرة تخطئة علي عليه السلام وظهرت فرقة الخوارج لتشعل نيران معركة النهروان.

٤. نتائج معركة النهروان جاءت بالأثر السلبي على صفوف المسلمين لارتباط القتلى والمحاربين بأنساب وقرابات ما أدت إلى الكراهية والبغض غير المحدود لعلي بن أبي طالب عليه السلام.

٥. حرب الجمل التي أتاحت الفرصة لمعاوية أن يتصل برؤساء الكوفة وغيرها من أنصاره فاشترى ضمائر الناس وأفسدهم على إمامهم فكانت طاعة الناس على أطراف ألسنتهم وأضمروا في قلوبهم المعصية والخذلان.

لقد تمكن المتآمرون من أهل العراق أن يحققوا لمعاوية كل أطماعه وأن يشلوا حركة الإمام علي عليه السلام وإشغاله في إنهاء المصاعب والمشاكل التي يخلقونها لغرض انصرافه عن لقاء أهل الشام مرة أخرى، لا سيما المتآمرون ممن كانوا على صلة بمعاوية، فكانت تأتيهم الأموال والعتاد فيخرج الرجل ومعه المائة والمائتين فيخرق أمن الدولة في انتهاك حرمة القانون في الأمصار ويشيع الفوضى فتسبى النساء وتقتل الرجال وتسلب الأموال.. فيضطر الإمام عليه السلام إلى إرسال رجل إليهم من أصحابه ومعه طائفة من الجند، ليخمد حركة المفسدين حتى إذا أوقفوا الفتنة، ظهرت فرقة أخرى أو جماعة في فتنة جديدة و في مكان آخر، فبات الوضع لا يستقر في أرجاء الدولة الإسلامية ونشطت الخوارج مرة أخرى فظهر الخربت بن راشد الذي كان مطاعاً في قومه وقد أضروا في البلاد وقتلوا بعض المسلمين وتمردوا على طاعة القانون فأرسل إليهم الإمام علي عليه السلام أحد عماله[1] فأخمد حركتهم بعد قتل الخربت بن راشد وسيق الأسرى إلى الكوفة وقد مروا على مصقلة بن هبيرة الشيباني وكان عاملاً على بعض المقاطعات ففدى الأسرى على ضمانته على أن يسدد أثمناهم تدريجيا، أخذ يماطل في أداء ما عليه ولما طالبوه بأداء ما عليه هرب إلى معاوية فاستقبله استقبال الفاتحين وحاول مصقلة أن يلحق أخاه نعيما بمعاوية.. وكان هدف الشيباني من افتداء الأسرى هو اشتراكه في الهدف والغاية التي كانت يتوخاها أعداء علي عليه السلام.

هكذا جرت الحوادث المنغصة والمؤلمة للإمام عليه السلام من أشخاص يعملون لعلي عليه السلام لكنهم يكنون له الحقد والحسد.. وفي طبيعة الحال فإن انشغال الإمام عليه السلام بأمور كهذه وغيرها مكنت معاوية من استغلال الفرص فتحرك لغزو القرى والمدن المتاخمة لحدود الشام فقتل ونهب بدون رادع من أحد أو وازع من دين.

---

(١) . عبد الله بن عباس ـ عامل ـ البصرة.

كما أغارت قوات معاوية على الحجاز واليمن بقيادة بسر بن ارطأة الذي أسرف في الاستخفاف بالدماء والحرمات والأعراض والأموال فنشر الفساد والخراب في مدينة رسول الله ﷺ وبلغ اليمن فزرع الرعب والخوف في أهلها حتى ذبح طفلين من أطفال عاملها عبيد الله بن العباس وهما في حضن أمهما التي اختل عقلها بسبب ذلك الحدث.

وجهز جيشاً آخر لغزو مصر وذلك ليفي بوعده لعمرو بن العاص الذي أعطاه قيادة ذلك الجيش فسيطر بن العاص على مصر وقتل عاملها محمد بن أبي بكر[1] والتمثيل به وحرقه.

وبعد ما جرى في مصر من أحداث انتدب الإمام علي عليه السلام مالك بن حرث الأشتر[1] لولاية مصر لإنقاذها من أيدي الطغاة، ولما بلغ معاوية نبأ اختيار مالك الأشتر لولاية مصر اضطرب واشتد خوفه على أنصاره وقواته، فاستطاع فكره المسموم أن يخرج من تلك الأزمة التي أحاطت به، فأغرى أحد أنصاره ممن يسكنون الطريق التي لا بد للأشتر من المرور عليها وأغدق عليه المال في اغتيال مالك، ولما بلغ الأشتر ذلك المكان ونزل فيه جاءه العسل المسموم[2] الذي أعده معاوية للتخلص منه، فجاءت نهاية ابن الأشتر دون الوصول إلى مصر.

هذا وتوالت الأحداث في داخل العراق والبلاد التي كانت تخضع لسلطة أمير المؤمنين عليه السلام فلم يكن يفرغ من تمرد حتى يفاجأ بآخر ولا يسد ثغرة إلا فتحت له أخرى حتى تمادى معاوية إلى في بغيه والإمام عليه السلام يحرّض أصحابه على الجهاد فيتعللون بالأعذار الواهية، كحر الصيف وبرد الشتاء، ولا يغضبون لحق أو دين ولا للمشردين والمستضعفين فوصل به الأمر أن يتمنى فراقهم بالموت أو القتل ويبكي أحياناً على من مضى من أنصاره وصحبه فيقول ((متى يبعث أشقاها فيخضب هذه

(١) . كان مالك حازماً قوياً مخلصاً لأمير المؤمنين عليه السلام وكان كما كان علي لرسول الله ﷺ على حد وصف الإمام وغيره.

(٢) . كان معاوية ناجحاً في التخلص من خصومه بهذا الأسلوب فقد قتل ابن خاله محمد بن أبي حذيفة وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد وسعد بن أبي وقاص، والإمام الحسن عليه السلام وكان يتباهى ويردد مقولته الشهيرة ((ان لله جند من العسل ينتقم به لأوليائه)).

من هذا؟)) مشيرا إلى رأسه الشريف ولحيته الكريمة حتى وطن نفسه أخيراً وان يخرج لحرب معاوية بمن هو على رأيه من أهله وعشيرته وأنصاره.

ترك هذا التصرف أثراً في نفوس القوم فجمع كل رئيس منهم قومه وتداعوا للجهاد من جانب وتعاقدوا على الموت معه فأصبحت الحرب حديث الناس، عندها أرسل عليه السلام إلى عماله في مختلف البلاد يدعوهم للاشتراك معه بما عندهم من الجيوش والمقاتلين، وخرج الناس إلى معسكر النخيلة ينتظرون انقضاء شهر رمضان سنة ٤٠ هجرية، وأرسل أمير المؤمنين عليه السلام زياد بن حفصة في جماعة من أصحابه طليعةً لجيشه بين يديه وبقي هو مع جيشه منتظراً انقضاء شهر رمضان المبارك، فتصدى له أشقى الآخرين في فجر يوم التاسع عشر من ذلك الشهر العظيم وهو ساجد في محرابه بضربة على رأسه أسقطته في محرابه قائلاً ((فزت وربِّ الكعبة)). وبعد يومين فقط التحق أمير المؤمنين عليه السلام للقاء ربه.

هذا مجمل للأحداث التي أعقبت معركة صفين الأولى والتي تركت الأمة في اختلاف وانشقاق مبتعدين عن التمسك بما أوصى به نبي الأمة صلى الله عليه وآله.

الخطاب الأول

وقف الإمام الحسن بن علي عليه السلام خطيباً في مسجد الكوفة حيث كان يقف أمير المؤمنين عليه السلام وحوله من بقي من المهاجرين والأنصار، فابتدأ خطابه عن مصابه بأبيه الذي أصيب به جميع المسلمين... فأبّنه موجزاً جميع خصاله بقوله عليه السلام:

((لم يسبقه الأولون بعمل ولا يدركه الآخرون، جاهد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وجبرائيل عن يمينه وميكائيل عن شماله)) فجمع بهذه

الكلمات الخصائص التي لا يمكن لأي إنسان أن يجمعها[1]، بعدها انتقل بالحديث عن نفسه بأسلوب لا يترك عذراً لمتخلف عن بيعته فقال: ((أنا الحسن بن محمد، أنا ابن البشير، أنا ابن النذير، أنا ابن الداعي إلى الله عز وجل بإذنه، وأنا ابن السراج المنير وأنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً))[2] هكذا بدأ الإمام الحسن عليه السلام مشواره الخلافي مصرحاً بأنه ابن رسول الله صلى الله عليه وآله الذي قال فيه في أول استقباله له عند ولادته :((ناوليني ابني)) طالباً الحسن عليه السلام، حيث استقبل الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله سبطه والفرحة تغمره في منتصف رمضان المبارك في السنة الثالثة لهجرته المباركة، وكان صوت النبي صلى الله عليه وآله أول صوت يناغم آذان السبط عليه السلام فيتغلغل في أعماق نفسه وقلبه وهو يتلقى تلك الكلمات ((الله أكبر ، لا إله إلا الله...)) حتى نهاية فصول الآذان والإقامة. ثم سماه وعق عنه وبعدها حلق رأسه وتصدق بوزنه فضة على الفقراء. وكناه بـ ((ابي محمد)) ولا غير وأما ألقابه فكثيرة منها (الطيب، التقي، الزكي، الولي، السبط، المجتبى) وهو سيد شباب أهل الجنة وأحد الاثنين اللذين انحصرت فيهما ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله وأحد الأربعة الذين باهل بهم رسول الله صلى الله عليه وآله نصارى نجران ومن أصحاب آية التطهير، وأحد أصحاب آية المودة كما في قوله تعالى) قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى[3]، ومن أحد الثقلين اللذين من تمسك بهما نجا ومن تخلف عنهما ضل وغوى. وانه أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله خلقاً وخُلقاً.

كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول فيه ((اللهم إني أحبُّه فأحبَّه)) وكان يأخذه فيضمه إليه ويقول ((اللهم إن هذا ابني وأنا أحبه وأحب من يحبه))[4].

وقال فيه وفي أخيه عليهما السلام: (هذان ريحانتاي من الدنيا من أحبني فليحبهما ومن أبغضهما أبغضني ومن أبغضني أبغضه الله وأدخله النار وإنهما سيدا شباب أهل الجنة).

---

(١) .سيرة الأئمة الاثني عشر عليهم السلام /هاشم معروف الحسيني/ القسم الأول/ ص٥٠.

(٢) .مقاتل الطالبين / أبو فرج الأصفهاني / ص ٥٢.

(٣) . سورة الشورى / آية ٢٣.

(٤) . جاء في كثير من الروايات ولا سيما البخاري ومسلم والترمذي في صحاحهم وابن كثير في البداية والنهاية عن براء بن عازب.

أكرم الصفات تجتمع للخليفة

اجتمعت في الإمام أبي محمد الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام بالإضافة إلى الشرف والنسب ما ورثه من جده النبي صلى الله عليه وآله وأبيه الوصي من العلم وكريم الصفات ما لم يجتمع في أحد من الناس، فوجد فيه المسلمون ما وجدوه في جده رسول الله صلى الله عليه وآله من أخلاق ومزايا وصلابة في الإيمان وتضحية في سبيل الله وخير الإنسانية، وجسد الإمام الحسن عليه السلام أخلاق جده المصطفى صلى الله عليه وآله، فأحبوه وعظموه وكان مرجعهم الأول بعد أبيه المرتضى عليه السلام في كل ما يعترضهم من المشاكل وما يستعصي حَلّه عليهم من أمور الدين، قال رسول الله صلى الله عليه وآله مخاطباً الحسن والحسين عليهما السلام: ((الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا)) [1]، قوله صلى الله عليه وآله مشيراً إلى الحسين عليه السلام: ((هذا إمام ابن إمام أخو إمام أبو أئمة تسعة)) [2].

البيعة في مسجد الكوفة

بعد أن فرغ الإمام الحسن عليه السلام من خطبته في أهل الكوفة وفي مسجدها، فتحت دعوة ابن العباس[3] أبواب البيعة العامة حيث كان لها صداها في نفوس المجتمعين فبادر الجميع إلى البيعة طائعين قائلين: ((ما أحبه إلينا وأحقه بالخلافة))[4].

وللمرة الثانية في تأريخ الإسلام تلتقي إمامة السماء الشرعية بخلافة الأرض الزمنية في شخص رجل واحد، بعد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فالإمامة الشرعية باعتبارها رئاسة الدين والخلافة الزمنية

(١) . منهاج السنة / ابن تيمية/ ج٤ ـ ص٢٠٩.
(٢) . ينابيع المودة / القندوزي الحنفي /ص ٤٤٧.
(٣) . عبيد الله بن عباس وقيل عبد الله بن عباس (حبر الأمة).
(٤) . مقاتل الطالبيين / أبو فرج الأصفهاني/ ص ٥٢.

باعتبارها رئاسة الدولة[1].

تمت البيعة للحسن عليه السلام في مسجد الكوفة ثم بايعته الكوفة كلها، والبصرة والمدائن، فالعراق بأجمعه، كما بايعه الحجاز، واليمن وبلاد فارس ولم يتخلف عن بيعته إلا معاوية وأتباعه ومن والاه.

بدأ الحسن عليه السلام بأعماله في إدارة شؤون الدولة الإسلامية، فأمر الأمراء وعين الولاة وأخذت الخلافة تشق طريقها نحو تنظيم شؤون الناس على ضوء المنهج الإلهي.

ومن أهم أعماله اهتمامه بشؤون الجند ورفدهم بالعطاء وذلك لإعادة تنظيمه والتيسير عليه استعداداً للمصادفات المستقبلية وتقوية الدولة.

وكان من جملة المبادرات الحازمة أمره بقتل جاسوسين كان يراسلان معاوية بأخبار الخلافة وأخبار الكوفة والبصرة.

وضع الإمام الحسن الأسس الرئيسية لمسيرة الدولة فقرر أن يدعوا معاوية إلى الدخول فيما دخل فيه المسلمون، فبدأت المراسلات بين الإمام الحسن عليه السلام ومعاوية.

فما كان رد معاوية على كتب الحسن عليه السلام أن يقول للرسل ((ليس بيني وبينكم إلا السيف)). أعلن معاوية الحرب تلميحاً وتصريحاً وامتنع الامتثال لأمر الخليفة والإمام الشرعي.

أعد الإمام الحسن عليه السلام العدة قبل أن يفاجأ بالعدوان وأعلن معاوية فعلاً الحرب على إمام زمانه، متعللاً بأنه أحق بالخلافة لما له من مؤهلات تؤهله لذلك منها:

---

(١) . انظر الأئمة الاثنا عشر سيرة وتاريخ / محمد حسن آل ياسين/ ج١ . ص١٥٦.

١. على أنّه اكبر من الحسن عليه السلام سنا.

٢. انه أطول ولاية.

٣. أقدم تجربة.

٤. الأكثر سياسة.

ثم يأمر الحسن عليه السلام بالدخول في طاعته وهذا ما صرح به معاوية في أجوبة الكتب والرد على أسئلة الرسل المبعوثين.

هكذا أصر معاوية على التمرد وعلى تكرار البغي بعد أن بغى وأصحابه على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من قبل.

نعم سارع هذا الباغي [1] إلى جمع جيشه وتكديس الحشود زحفاً نحو العراق مبادراً إلى العدوان.

خطبة الجهاد

بعد الذي ذكرناه كان لا بد للحسن عليه السلام من موقف يتخذه تجاه ما سعى إليه معاوية، فخطب في الناس. استعداداً للخروج. خطبة يحث المسلمين على الجهاد والصبر عليه فقال في أثنائها: (أما بعد, فإن الله كتب الجهاد على خلقه وسماه كرها... ثم قال لأهل الجهاد اصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ, فلستم أيها الناس نائلين ما تحبون إلا بالصبر على ما تكرهون)[2]

(١) . كان سبب سرعة معاوية إلى هذا العدوان، لعلمه بأن الحرب التي خاضها جيش الدولة (أهل العراق وغيرهم) في البصرة ما أصحاب الجمل ومع أهل الشام وصفين ومع الخوارج وفي النهروان قد أنهكته أو يكون الجيش متعباً مفككاً لا يصمد أمام أي عدوان.

(٢) .مقاتل الطالبيين/أبي الفرج الأصفهاني/ص٦١

أدرك الإمام الحسن عليه السلام فور انتهائه من خطابه إن الناس سيتقاعسون عن الخروج وإنهم ليسوا على استعداد للصبر على ألم الحرب، لأنهم سكتوا فما تكلم منهم أحد ولا أجاب بحرف)[1].

الخروج إلى الجهاد

كتب الإمام الحسن عليه السلام إلى معاوية (أما بعد ... فإنك دسست إليّ الرجال، للاحتيال والاغتيال ورصدت العيون، كأنك تحب اللقاء وما أشك في ذلك، فتوقعه إنشاء الله، وقد بلغني أنك شمت بما لا يشمت به ذوو الحجى) [2].

أعلن الحسن عليه السلام الخروج إلى ا لجهاد ثم بادر إليه متوجهاً إلى النخيلة حيث مركز تجمع العسكر[3]، ثم توجه منها إلى المدائن حيث اختارها مقراً لقيادته في هذه الحرب، وكانت المدائن نقطة للتجمع والإمداد، لأنها التقاء مختلف الطرق من فارس والكوفة والبصرة والحجاز واليمن.

ولما كان معاوية قد عجل بالمسير نحو العراق كان على الإمام الحسن عليه السلام أن يرسل طليعة (مقدمة) لجيشه وذلك لمقابلة جيش معاوية.

وجه الإمام الحسن عليه السلام جيشاً إلى الشام بقيادة رجل من كندة يدعى (الحكم) ولما ورد إلى الأنبار أرسل معاوية بالأموال والوعود فأغراه ومنّاه ، فهرب الحكم ملتحقاً بمعاوية، ولما بلغ نبأه الإمام الحسن عليه السلام قام خطيباً با لجيش، فبيّن في خطابه غدر الحكم، فقال: (هذا الكندي توجه

(١) .مروج الذهب /المسعودي / ج٢ ـ ص٢٩٥.
(٢) . كان قد وصل معاوية خير استشهاد ولإمام علي عليه السلام فشحت بذلك. وكذلك كأنه أرسل رسله يريد أن يعرف مدى قوة الخلافة الجديدة.
(٣) . كان أول الملتحقين بمعسكر النخيلة حجر بن عدي الطائي/ مقاتل الطالبيين / أبي فرج الأصفهاني / ص٣٩.

إلى معاوية وغدر بي وبكم وقد أخبرتكم مرة بعد مرة أنه لا وفاء لكم، أنتم عبيد الدنيا، وأنا موجه رجلاً آخر مكانه واني أعلم أنه سيفعل بي وبكم ما فعل صاحبه (الحكم) ولا يراقب الله فيّ ولا فيكم[1].

موقف القادة

كان قادة جيش الإمام عليه السلام يتسللون من ا لجيش ملتحقين بمعاوية مغترين بالأموال والوعود، وكان زعماء الكوفة يراسلون معاوية ويضمنون لمعاوية تسليم الإمام الحسن عليه السلام مكتوفاً إليه متى شاء، وهؤلاء يأتون إلى الإمام الحسن عليه السلام فيظهرون له الطاعة والولاء فيقولون: (أنت خليفة أبيك ووصيه ونحن السامعون المطيعون لك فمرنا بأمرك فقال لهم الإمام عليه السلام ((كذبتم والله ما وفيتم لمن كان خيراً مني فكيف تفون لي وكيف أطمئن إليكم ولا أثق بكم، إن كنتم صادقين فموعدنا ما بيني وبينكم معسكر المدائن فوافوا إلى هناك))[2].

القائد المتخاذل

اختار الحسن بن علي عليه السلام قائد لمقدمته فكان (عبيد الله بن العباس) وسبب الاختيار هذا يعود إلى:

١. إن عبيد الله بن العباس يطلب معاوية ثأراً لقتله طفليه على يد قائد حملته بسر بن أرطأة التي أرسلها إلى اليمن والذي كان عبيد الله عاملها.

٢. كان عبيد الله أول داعٍ لبيعة الإمام الحسن عليه السلام هو ابن عمه، ولم

(١) . بحار الأنوار/ المجلسي/ ج ٤٤ ص٤٤.
(٢) .نفس المصدر.

يكاتبه معاوية لاستبعاده الإغراء والانضمام إليه.

سار عبيد الله بجيش الكوفة متجهاً الى صفين وعلى رأس جيش بقدر اثنا عشر ألف مقاتل، وسار بهم حتى نزل مسكن باتجاه الشام وقبال ذلك كان معاوية قد دخل الأراضي العراقية باتجاه الكوفة بعد أن كان تجمع جيشه في مبلج.

وما أن وصل عبيد الله إلى مسكن، حتى بدأت رسل ورسائل معاوية تحمل في طياتها وسائل الإغراء التي تناغم قلب وهوى عبيد الله بعد أن علم معاوية بنقاط ضعفه، فوافق على ما طُلب منه ودخل ليلاً إلى معسكر معاوية بعد أن قبض المال المبعوث له، وكان معاوية قد بعث برسالة إلى عبيد الله بن عباس والتي على إثرها التحق به، وفيها: (إن الحسن قد راسلني في الصلح وهو مسلّم الأمر لي، فإن دخلت في طاعتي كنت متبوعاً وإلا دخلت وأنت تابع) وجعل فيها ألف ألف درهم[1]، وعلى كل حال ترك ابن عباس معسكره والتحق مع أربعة آلاف من جيشه والذين هم على شاكلته ودخل معسكر معاوية . جريا وراء المال وحب الدنيا. دخول المهزوم المخذول الذي يأباه كل حر ينبض عنده الضمير.

وينبلج الصبح عن افتقاد المعسكر (الحسني) قائده، فترقص قلوب المنافقين والانتهازيين وتدمع عيون المخلصين، ويكاد الأمر أن يُنتفض على الإمام عليه السلام في مسكن، ولكن بديل القائد المفقود كان حاضرا.. هو القائد المؤمن قيس بن سعد بن عبادة الذي حاول جاداً أن يحافظ على بقية المعسكر رافعاً من معنويات الجند بأساليب مختلفة التي انهارت بخيانة القائد وبعض المقاتلين، فقام خاطباً بمن بقى من الجند موضحاً موقف عبيد الله العباس وإيمانه المهزوز الذي دفعه للتردي إلى هذا المنحدر[2]، وقد استطاع قيس أن يفعل في نفوس سامعيه ما أراد، فانطلقت الحناجر بحماس تنادي الحمد لله الذي أخرجه من بيننا فصنع القائد الجديد حالة من الشد والعزيمة في صفوف الجيش فعاد النظام يسيطر على عناصره، وبالرغم من كل ذلك وبلوغ نبأ ابن عباس الإمام الحسن عليه السلام كان لا يزال في موقفه الصلب بضرورة مقاتلة معاوية.

(١) . شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد / ج١٦/ ص٤٢.
(٢) . مقاتل الطالبين / أبو فرج الأصفهاني/ ص٣٥.

لكن في حقيقة الأمر أن موقف ابن عباس قد فتح الباب لغيره وتحجج بغدره وخيانته جميع الطامعين والخونة، ونشط أنصار معاوية في نشر الترهيب والترغيب في صفوف الجيش ولم يتركوا وسيلة لصالح معاوية إلا واستعملوها فاستمالوا الكثير حتى رؤساء ربيعة الذين كانوا حصناً لأمير المؤمنين وللحسن والحسين عليهم السلام فلقد أرسل خالد بن معمر أحد زعماء ربيعة البارزين لمعاوية يبايعه عن ربيعة كلها، وبهذه المناسبة قال أحد الشعراء يخاطب معاوية:

معاوية أكرم خالد بن معمر فإنك لولا خالد لم تؤمّر

كما راسله وبايعه عثمان بن شرحبيل أحد زعماء بني تميم وشاعت الخيانة بين جميع كتائب الجيش وقبائل الكوفة وأدرك الإمام عليه السلام كل ذلك وصارحهم بالواقع الذي لم يعد يمكن السكوت عليه فقال: ((يا أهل الكوفة انتم الذين أكرهتم أبي على القتال والحكومة ثم اختلفتم عليه، وقد أتاني إن أهل الشرف منكم قد أتوا معاوية وبايعوه، فحسبي منكم لا تغروني في ديني ونفسي)).

وبهذا اطمئن معاوية بأن المعركة فيما لو وقعت بين أهل الشام وأهل العراق ستكون لصالحه وسيكون الحسن بن علي عليه السلام والمخلصون له من جنده وصحبه خلال أيام معدودات بين قتيل وأسير تحت رحمته وان السلطة صائرة إليه لا محالة.

أسباب خيانة القائد ((عبيدالله بن العباس))

من جملة الأسباب التي أوقعت ابن عباس في مستنقع الخيانة ما يلي:-

١. حبه التعاظم.

٢. تطلعه للسبق.

٣. ضعيف الإرادة.

٤. إشاعة وصلت إلى مسامعه قبل رسالة معاوية على فرعين:-

أ. عدم تحرك جيش الكوفة، ومعنى هذا أنك تقاتل جيش أهل الشام بمن معك من الجيش فقط ولا مدد لك من حكومة الكوفة.

ب. قبول الحسن عليه السلام بالصلح، بمعنى لماذا تقتل نفسك دون الحسن وهو يصالح في آخر الأمر.

٥. وصول رسالة من معاوية تخاطبه محركةً مشاعره تقول:(أدخل في طاعتي متبوعاً وإلا دخلت وأنت تابع مع ألف ألف درهم) [١].

خبث ومكر معاوية

بعد توالي الأحداث وتمكن معاوية من شراء ضمائر معظم رؤساء ووجهاء وقادة الكوفة، ضمن معاوية النصر المادي بخبثه ومكره دون أن يقع القتال بل ترك النصر بالسلاح لأن ذلك لا يعطي حكومته الصبغة الشرعية التي كان يحاول أن يخدع الناس من خلالها [٢]، كما أنه كان

(١) . سيرة الهداة الميامين عليهم السلام ا لإمام الحسن / طه العبيدي / ج١ ص٢٥٥.
(٢) . أطلق على معاوية لفظة (خال المؤمنين).

يتوخى الحذر من أنه لو دارت المعركة وأصيب الحسنان عليهما السلام خلالها وهما سيدا شباب أهل الجنة وريحانتا رسول الله صلى الله عليه وآله وأحب خلق الله إليه وهذا ما لا يجهله أحد من المسلمين، فتكون مضاعفات نتائجها وخيمة وخطيرة عليه وعلى حكومته، فكان من مكره وحرصه على أن لا يتورط مع الحسن بن علي عليه السلام في الحرب وإن كان مطمئناً لنتائجها لصالحه على المستوى العسكري.

خروج الإمام الحسن عليه السلام من النخيلة الى المدائن

أشرف الإمام الحسن عليه السلام على تنظيم الجيش وتوزيع الرايات في معسكر النخيلة، وصارت له دورة يختلف فيها إلى المعسكرات التي تتواجد فيها الجيوش، فينتقل من النخيلة إلى المدائن ومن ثم إلى مسكن ومن ثم يعود إلى النخيلة والمدائن، وفي الخروج من النخيلة إلى المدائن تخلّف عنه الكثير من الجيش فوقف بهم الإمام عليه السلام فقال مخاطباً أهل الكوفة:(غررتموني كما غررتم من كان قبلي، مع أي إمام تقاتلون بعدي؟ مع الكافر الظالم الذي لا يؤمن بالله ولا برسوله قط، ولا أظهر الإسلام هو وبنو أمية إلا فرقاً من السيف؟ ولو لم يبق لبني أمية إلا عجوز درداء لبغت دين الله عوجاً وهكذا قال رسول الله)[1].

الإشاعة تنخر الجيش وتمهد للصلح

كان من جملة أسلحة معاوية المؤثرة والهدامة تلك الإشاعات التي كان يبثها هنا وهناك لتصل مسامع الجيش الكوفي همساً والتي تصرح بعدم جدية الحرب، كما دعمها بإشاعة الصلح بين المعسكرين. وقد أعد معاوية لهذا تخطيطاً محكماً تمكن فيه من حصول بغيته، فأخذت تلك الإشاعات أثرها ونخرت قوة الجيش وعزم أفراده على القتال وزادت في تقاعسهم.

---

(١) . بحار الأنوار/ المجلسي/ ج٤٤ ص٣٤.

عرض معاوية فكرة الصلح على الإمام الحسن عليه السلام في أول رسائله وترك له أن يشترط أي شرط يرغب فيه، ومن ذلك الحين راح يردد حديث الصلح في مجالسه وبين أنصاره في الجيش الكوفي ويأمرهم معاوية بإشاعته وكاتب القادة والرؤساء به ليصرف أنظارهم عن الحرب ويبث فيهم التخاذل والاستسلام للأمر الواقع وفكرة الصلح مغلفة بلون ينخدع له الكثيرون من الناس ويفضلونها على الحرب والقتال، كما أن طريقة عرض الرسالة[1] الأولى والتي أشيعت بنودها أو مضمونها في أهل العراق بأنه لا يفضي لأمر من الأمور بدون رأي الحسن عليه السلام ولا يعصيه في أمر أريد به طاعة الله ورسوله، وكذلك ترك للحسن عليه السلام يقترح ما يريد، وكان معاوية يرى إن هذه الصياغة ستقبل من قبل الكثيرين من جيش الكوفة وسيتبع ذلك انقسام واسع في صفوف الجيش مما يضطر الإمام عليه السلام للقبول بالصلح والدخول فيه لأنه أهون الشرين كما فعل والده أمير المؤمنين عليه السلام مضطراً من قبل بقبول التحكيم، وبهذا ستكون فكرة الصلح سلاحاً بيد الخونة من أهل العراق فضلاً من أنها عذراً لمعاوية فيما لو قامت الحرب وأصيب الحسنان وخيار الصحابة.

وكان الأمر كما قدر له معاوية.. فقد أدت فكرة الصلح . بهذه الطريقة والتخطيط الدقيق الماكر. إلى التشويش والاضطراب وعدم الاستقرار في صفوف الجيش الكوفي وإلى تسلل الكثير من أفراد الجيش وفيهم عدد من القادة وزعماء العشائر للانضمام إلى جانب معاوية، وهذا بدوره كان يرسل الأخبار إلى الحسن(ع) ليقطع أمله في الحرب فلا يبق له خيار إلا القبول بالصلح، وللأسف الشديد كان أهل العراق يكتبون إلى معاوية بالسمع والطاعة واستحثوه على السير نحوهم وأكدوا له إن كان يرغب في أسر الحسن عليه السلام فإنهم سيضمنوا له ذلك عند دنوه من العسكر أو قتله[2]، وقبال ذلك وعد معاوية عمر بن

حريث والأشعث بن قيس وحجار بن أبجر وشبث بن ربعي، بمائة ألف

(١) . كان الوفد الأموي الذي أرسله معاوية يردد ((الحمد لله الذي حقن دماء المسلمين بابن رسول الله صلى الله عليه وآله وذلك عند خروجه من فسطاس الحسن عليه السلام وغايته ايصال هذا الكلام لعامة جند العراق حتى يوهمهم بأن الحسن عليه السلام وافق على الصلح.

(٢) . انظر الرشاد للمفيد / إعلام الورى للطبرسي.

دينار وقيادة جند الشام وبنت من بناته لمن يقتل الحسن عليه السلام منهم ولما بلغ الحسن عليه السلام ذلك كان لا يخرج بدون لامة حربه ولا ينزعها حتى في الصلاة وقد رماه أحدهم بسهم وهو يصلي فلم يثبت فيه ولم يكن الإمام الحسن عليه السلام يفكر في صلح معاوية.

فكرة الصلح

تلاطمت الأفكار وتكدست على غبار الإشاعات فكرة ترك الحسن عليه السلام وأهل بيته يموجون في بحر الفتن الذي صنع من قبل معاوية وأعوانه، ولم يكن الحسن عليه السلام يفكر من قريب ولا من بعيد بالصلح مع معاوية بل لا يفكر بمهادنته غير أنه بعد أن توثقت لديه الأخبار عن تفكك جيشه وانحياز أكثر القادة إلى جانب معاوية أراد أن يختبر نواياهم وما تضمر صدورهم ويمتحن عزيمتهم، فوقف بمن كان معه ولوّح لهم من بعيد بالصلح وجمع الكلمة وقال: (فوالله أني لأرجو أن أكون أنصح خلق الله لخلقه وما أصبحت محتملاً على أحد ضغينة ولا مريداً له سوءً ولا غائلة، ألا وإن ما تكرهون في الجماعة خير لكم مما تحبون في الفرقة، ألا واني ناظر لكم خيراً من نظركم لأنفسكم فلا تخالفوا أمري ولا تردوا عليّ رأيي غفر الله لي ولكم وأرشدني وإياكم لما فيه محبته ورضاه)[1].

ولما نزل نظر الناس بعضهم لبعض، قالوا: ما ترونه يريد بما قال؟ قالوا: نظنه يريد أن يصالح معاوية [2] ويترك الأمر إليه، كفر والله الرجل، ثم شدوا على فسطاسه فانتهبوه حتى أخذوا سجادة صلاته من تحته وشد عليه عبد الرحمن بن عبد الله الازدي فنزع مطرفه عن عنقه وبقي جالساً متقلداً لسيفه بدون رداء فدعا بفرسه وركبه وأحدق به طوائف من خاصته فمنعوا عنه من أراده ثم استدعى ربيعة وهمدان فطافوا به ومنعوا الناس عنه وبينما هو كذلك إذ قام إليه رجل يقال

(١) . سيرة الأئمة الاثني عشر/ هاشم معروف الحسين / ص٥١٨.

(٢) . كانت إشاعة ا لصلح قد أخذت منهم مأخذا فاعتقدوا انه عليه السلام يريد الصلح.

له جراح بن سنان [1] وبيده معول فأخذ بلجام فرسه وقال: الله اكبر يا حسن لقد أشرك أبوك ثم أشركت من بعده وطعنه بمعول فوقعت ضربته في فخذه فشقته وسقط إلى الأرض بعد أن ضرب الذي طعنه بسيف كان في يده وتكاثر عليه جماعة فقتلوه وحمل الحسن عليه السلام على سرير إلى المدائن وكان عاملها سعيد بن مسعود[2] الثقفي فأقام بها أياما يعالج نفسه، بعدها أرسل معاوية عبد الله بن عامر وعبد الرحمن بن سمرة إلى الحسن عليه السلام فزهّداه في الأمر وأعطياه كل ما شرطه معاوية على نفسه وانصرف قيس بن سعد بمن معه إلى الكوفة كما انصرف إليها الحسن عليه السلام واقبل معاوية قاصداً الكوفة فنزل النخيلة.

الصلح وبنوده

يبدو من تتبع الأحداث التي سجلها التأريخ أن الإمام الحسن عليه السلام بقي مصراً على الحرب إلى آخر لحظة وان وفد معاوية لم يصل معه إلى نتيجة بخصوص الصلح، وقد استعمل معاوية كل ما لديه من قوة أساليب خداع وتضليل في إعلانه عن وقوع اتفاق بين الطرفين كما يوحي بذلك اليعقوبي في تأريخه[3] أن معاوية قدم العراق وغلب على الأمر والحسن عليه السلام عليل شديد العلة وإن معاوية لم يجد المقاومة من دخول العراق واحتلاله وإن الحسن عليه السلام لما رأى ذلك لم يكن له خيار إلا التسليم لأمر الصلح.

نعم لقد كان الحسن عليه السلام في تنازله عن السلطة في ذلك الجو المحموم منتهى الحكمة والحنكة والسياسة الرشيدة كما كان أبوه أمير المؤمنين عليه السلام من قبل له موقفاً في قبول التحكيم الذي فُرض عليه بحد السيوف وأسنة الرماح فاضطر أليه لمصلحة عليا، هذا بالإضافة إلى إنه

(١) . يقال رجل من بني أسد.

(٢) . هو اخو أبي عبيدة الثقفي عم المختار ولاه أمير المؤمنين عليه السلام المدائن/طرائف المقال/ السيد علي البروجردي / ج١ ـ ص٥٣٩.

(٣) . انظر تأريخ اليعقوبي/ أحمد بن يعقوب البغدادي بن جعفر بن وهب بن واضح/ ج٢ ـ ص١٩١ وما بعدها.

لو مضى بمن معه وحارب معاوية بتلك الفئة القليلة المخلصة لكان حاله كحال غيره من العلويين الذين نهضوا في ظروف مختلفة العصور يهتفون بالإصلاح ويدعون إليه ثم غلب على أمرهم ولم يبق من ذكرهم إلا الأسماء في مجاميع التأريخ والأنساب.

ومهما يكن من أمر فقد تم الصلح كما أملته الحكمة وفرضته مصلحة الإسلام العليا والعباد، وأما المكان الذي تم فيه فقيل انه في مسكن وقيل انه كان بأذرح وقيل في الكوفة في النخيلة وقيل في بيت المقدس وغير ذلك.

وأما الموافقة على الصلح فكان في المدائن والتنفيذ بعد أن رجع الإمام الحسن عليه السلام إلى الكوفة.

أهم شروط الصلح

من المناسب أن نقول شروط الصلح وليس بنود الصلح وان نذكر أهم شروط الوثيقة التي أبرمت للصلح :-

الشرط الأول: تسليم الأمر إلى معاوية على أن يعمل بكتاب الله وسنة رسوله.

الشرط الثاني: أن يكون الأمر للحسن عليه السلام من بعده فإن حدث به حدث فلأخيه الحسين عليه السلام وليس لمعاوية أن يعهد به إلى احد.

الشرط الثالث: أن يترك معاوية سبّ أمير المؤمنين وأن لا يذكر علياً إلا بخير.

الشرط الرابع: استثناء ما في بيت مال الكوفة فلا يشمله تسليم الأمر.

الشرط الخامس: حرية الرأي وترك الناس في آمان وبالخصوص أصحاب علي عليه السلام وشيعته وترك قادة جيش الحسن عليه السلام الذين صمدوا مع الإمام الحسن عليه السلام، وأن لا يتعرض للحسن والحسين عليهما السلام بأي سوء.

وكتب معاوية جميع ذلك بخطه وختمه بخاتمه وبذل عليه العهود المؤكدة والأيمان المغلّظة وأشهد على ذلك جميع رؤساء الشام[1].

هذه هي أهم شروط الصلح وهي ذات فاعلية عظمى لصالح الأمة الإسلامية ورسالتها الكريمة، والوثيقة تعتبر أقصى ما كان بإمكان الحسن عليه السلام إن يحققه للأمة ولرسالتها ولو كان هناك بديل أفضل يستطيع أن يحققه لما توانى عن إتيانه بحال.

أسباب صلح الحسن عليه السلام

هناك أسباب قاهرة اضطرت الإمام الحسن عليه السلام إلى قبول الصلح مع معاوية منها ما يلي:-

الأمر الأول: إن جيش الإمام الحسن عليه السلام كان خليطاً غريباً عجيباً يضم عدة فئات وكما يأتي:

١-الخوارج: وهم الذين خرجوا عن طاعة الإمام علي عليه السلام وحاربوه وناوءوه ونصبوا له العداوة، وقد وجدوا من خروجهم في جيش الحسن عليه السلام حلاً وسطاً لما اعتقدوا من كفر. علي ومعاوية- فانضموا إلى ذلك الجيش لمحاربة معاوية، وهؤلاء أناس تستثيرهم أدنى شبهة عارضة فيتعجلون الحكم عليها، وفعلاً خرجوا عن طاعة الإمام عليه السلام ووثبوا عليه فيما بعد.

٢- فئة تميل للحكم الأموي وهم على قسمين:

(١) . الأخبار الطوال / أبي حنيفة الدينوري / ص٢١٨.

ا)القسم الأول- هم الذين لم يجدوا في حكومة الكوفة ما يشبع نهمهم من مطامع يطمحون إليها، فأضمروا ولاءهم لعامل الشام مترقبين توفر الفرصة للوثوب على الحكم وتسليم الأمر لمعاوية.

ب)القسم الثاني – هم الذين حقدوا على حكومة الكوفة لضغائن في نفوسهم أورثتها العهود السالفة أو مصالح شخصية، وظهر ذلك بخيانة واضحة من قبل أقطابها أمثال (ابن الأشعث، ابن ربعي، ابن ابجر، ابن معمر، وغيرهم) واتصالهم بمعاوية تزلفاً له وطمعاً في الحظوة عنده.

٣- فئة الانتهازيين: وهم مجموعة غير قليلة، بل كان معظم جيش الإمام عليه السلام يتصف بهم، وهؤلاء ليس لهم مسلك معين أو جهة خاصة مستقلة وإنما أهم أهدافهم ضمان السلامة وبعض المطامع عند الجهة التي ينعقد لها النصر، فهي تترقب عن كثب إلى أي جهة تركن الأمور فيميلوا إليها وينقلبوا عن الآخرين.

٤- فئة مختلفة الاتجاهات: وهؤلاء تثيرهم العصبيات القبلية والإقليمية ، فلا هدف معين لهم بل التحقوا تحت راية فلان لأنه من قبيلتهم أو كانوا تحت راية فلان لأنه ينتمي إلى إقليمهم وهكذا.

٥-الفئة المؤمنة: وهم القلة القليلة في جيش الإمام عليه السلام وكانت تمثل الخواص والأصحاب وأهل بيت النبوة. وكانت مع الإمام عليه السلام بكل أهدافها وتطلعاتها لا رأي لها سوى رأي الإمام ويرون ما يراه وما يفعله ويقرره عليه السلام، وهم الذين ذاب صوتهم في زحام الأصوات الأخرى المعاكسة لها والمتناصرة فيما بينها.

فجيش الإمام الحسن خليط عجيب لا يربط بين فئاته هدف واحد، وهو معرض للانقسام والتفكك عند ظهور أي بادرة للانقسام من شأنها أن تفسد أي خطة مهما كانت محكمة يضعها أي قائد محنك.

وقد شعر الإمام بخطورة الموقف بين هذا الخليط الذي يحمل عوامل الانقسام على نفسه فضعفت ثقته بجنده، وكان من ابلغ ما أفضى به في هذا المجال خطابه الذي ألقاه أمام جيشه في المدائن فقال عليه السلام: (...

وكنتم في مسيركم إلى صفين، ودينكم أمام دنياكم، وأصبحتم اليوم ودنياكم أمام دينكم، ألا وقد أصبحتم بين قتيلين. قتيل بصفين تبكون له وقتيل بالنهروان تطلبون لثأره، وأما الباقي فخاذل وأما الباكي فثائر، ألا فإن معاوية دعانا لأمر ليس فيه عز ولا نصفه فإن أردتم الموت رددناه عليه وحاكمناه إلى الله عزل وجل بضب السيوف وأن ارتم الحياة قبلناه وأخذنا لكم الرضا)[1]

فكان معاوية بالاعتماد على هذا الخليط ورؤسائه قد أوقع قادة جيش العراق في شباكه وكسب المعركة قبل لقاء الجيشين، وهذا كاف لدفع الإمام عليه السلام إلى القبول بالصلح..

الأمر الثاني:- وقوع أغلب جند الإمام الحسن عليه السلام في الفتن التي صنعها معاوية وطابوره ، فصدقوا كل ما قيل داخل المعسكر والذي يبثه أذناب معاوية، فاعتمدوا كلام عدوهم وتدبروه وتركوا الرجوع إلى قائدهم الإمام.

الأمر الثالث: ويعد من أهم الأسباب التي دعت إلى الصلح ، ويمكن أن نتعرف عليه من خلال السؤال التالي : ماذا وراء الحرب لو وقعت بين الطرفين؟[2]

وعند التأمل والإجابة نقول: إن الغاية من أي معركة هو تحقيق أهداف معينة، وهذه الأهداف تجتمع في تحقيق ما يأتي:

١)الهدف المادي.

٢)الهدف المعنوي

فأي من الهدفين كان سيتحقق للإمام الحسن عليه السلام؟

---

(١) الكامل في التاريخ/ ابن الأثير/ج٣ص٤٠٦

(٢) يعني التقاء الجيشان (جيش الكوفة وجيش الشام) في معركة نسميها صفين الثانية.-

فأما الهدف المادي فلا يمكن للإمام أن يحققه بالانتصار العسكري وذلك لان جيش العراق قد نخر صفوفه الخذلان والإعلام المعادي والمؤامرات التي زرعت بشكل محكم داخل الجيش وخارجه.[1]

أما الهدف المعنوي فلا يمكن تحقيقه أيضا للأسباب الآتية:

طبيعة معاوية ونظامه لم يكن يسمح لهذا الانتصار، بسبب شيوع أن معاوية هو كاتب الوحي وأنه خال المؤمنين وتقنّعه بقناع الدين، وسبب اندفاعه في التصدي للحكومة العلوية هو طلب مَن سفك دم الخليفة (عثمان بن عفان)، وبجانب ذلك وجود الهالة الإعلامية الصاخبة التي أقحمت مسامع الناس بأن معاوية صاحب الصفات الكريمة والتي أصدرها وعاظ السلاطين .

المكر الذي استخدمه معاوية والخدع الماكرة التي انقاد إليها الكثير من جيش العراق والتي اقتلعت معنويات الجند من الجذور إلا ما رحم ربي، واشتد ذلك الانهيار المعنوي عندما بلغ مسامع الجيش إن الحسن صالح معاوية.. بايع قائدكم.. على ماذا تقاتلون.

إغراء قادة العراق ، وإيصال بعض العطاءات إلى وجهاء ورؤساء القبائل.

وهكذا فإن في ملاقاة معاوية في معركة ستسحق رحاها آلاف القتلى من الطرفين دون أن يتحقق الهدف المعنوي.

(١) كما حدث في المراسلات مع زعماء قبائل الكوفة.

حكومة معاوية

قد يطرح السؤال التالي بعد عقد الصلح بين الإمام الحسن عليه السلام ومعاوية ، وهو هل أن حكومة معاوية شرعية؟

في حقيقة الأمر ومهما يكن من حال فإن عقد اتفاقية الصلح لم تضفِ الشرعية على حكومة معاوية، أي إن مجرد عقد الصلح لا يؤدي إلى الاعتراف بمعاوية كخليفة شرعي أو انه على حق، هذا مفهوم باطل لا يقول به عاقل، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله قد عقد اتفاقيات عدة للصلح، كما حدث يوم الحديبية عندما صالح قريش وهم مشركون وكذلك مع بني ضمرة وبني أشجع والأكثر من ذلك فقد عاهد اليهود قبل إجلائهم عن المدينة وهذا لا يعني أنهم على حق كما يتصور البعض بأحقية معاوية لتنازل الإمام الحسن عليه السلام عن سدة الخلافة، بل يبقى معاوية هو ذلك الباغي الذي لم يذعن للحكومة الإلهية، وقد جاء في خطاب الإمام عليه السلام عندما خرج من الكوفة مرتحلاً إلى مدينة جده، إذ أدركه كتاب معاوية يطلبه بالرجوع إلى الكوفة ومقاتلة طائفة من الخوارج أعلنوا العصيان والتمرد في جوارها، فأبى أن يرجع وكتب إلى معاوية: (... لو آثرت أن أقاتل أحدا من أهل القبلة لبدأت بقتالك قبل أي أحد من الناس...)[1]

وهكذا نجد ظلامة الإمام الحسن عليه السلام واضحة جدا بعد أن أحاطته الدسائس والخيانات من قبل من كان يدعي نصرته، فلم يكونوا جيشا عقائديا متسلحا بإيمان صلب، بل كان معظم أفراده مهزوز الجانب يلهث وراء الدنيا وغرورها من دون أدنى جهد وعناء من معاوية، بل الأنكى من ذلك - كان مع خذلان الناصر وتقاعس من كان حوله، اضطر الإمام عليه السلام إلى قبول الصلح - اتهامهم إياه بإذلال المؤمنين وتعرضه للاعتداء لأكثر من مرة بالقول والفعل ما يدل على أن المحيطين بالإمام الحسن عليه السلام لم يكونوا نافذي البصيرة ولم يعرفوا مقام الإمام متجاهلين عصمته التي لا يمكن أن تجعله مصدرا للقرارات الخاطئة فقدموا آراءهم على آرائه حتى وصل بهم الأمر إلى تجرئهم على مقام الإمامة الحقة التي أوصى بها رسول الله صلى الله عليه وآله الذي كان رحيله عنهم

(١) الكامل في التاريخ/ابن الأثير/ج٣ص٣٠٨-

ليس ببعيد، فاستمر هذا الظلم ليوم استشهاده عندما تعرض نعشه الشريف إلى سهام القوم ونبالهم.. فالتحق بالرفيق الأعلى محاطا بظلم الأعداء من جهة ومحفوفا بتقديس الموالين إلى بقيع الغرقد فإنا لله وأنا إليه راجعون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب سينقلبون والعاقبة للمتقين.

المصادر

. القرآن الكريم.

. سيرة الأئمة الاثني عشر عليهم السلام/ هاشم معروف الحسني/ القسم الاول.

. مقاتل الطالبيين/ أبو فرج الأصفهاني.

. ينابيع المودة/ القندوزي الحنفي.

. الأئمة الاثني عشر سيرة وتأريخ/ الشيخ محمد حسن آل ياسين (رحمه الله).

. مروج الذهب/ المسعودي/ ج٢.

. شرح نهج البلاغة/ ابن أبي الحديد.

الفهرس

المقدمة ٣

توطئة ٥

ماذا حدث بعد حرب صفين؟ ٦

الخطاب الأول ٩

أكرم الصفات تجتمع للخليفة ١١

البيعة في مسجد الكوفة ١١

خطبة الجهاد ١٣

الخروج إلى الجهاد ١٤

موقف القادة ١٥

القائد المتخاذل ١٥

أسباب خيانة القائد (عبيد الله بن العباس) ١٨

خبث ومكر معاوية ١٨

خروج الإمام الحسن عليه السلام من النخيلة إلى المدائن ١٩

الإشاعة تنخر الجيش وتمهد للصلح ١٩

فكرة الصلح ٢١

الصلح وبنوده ٢٢

أهم شروط الصلح ٢٣

أسباب صلح الإمام الحسن عليه السلام ٢٤

حكومة معاوية ٢٨

المصادر ٣٠

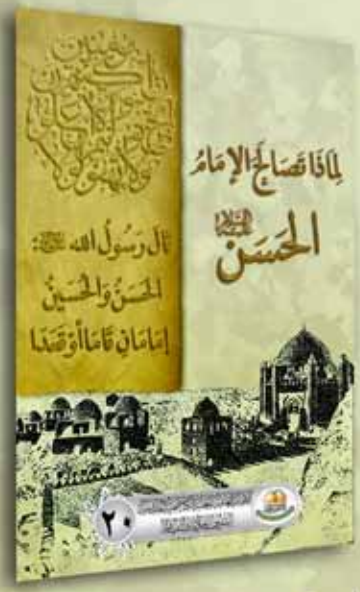

تعزي الأمانة العامة

للعتبة الكاظمية المقدسة

الإمام الحجة بن الحسن عجل الله فرجه

والمراجع العظام والعالم الإسلامي كافة

بمناسبة استشهاد سبط الرسول صلى الله عليه وآله

الإمام الحسن المجتبى عليه السلام